أليس فى بلاد الأعاجيب

Alice in the Wonderland

٣ — عودة الأرنب

وَبَقِيَتْ أَلِيسُ وَحِيدَةً تَتَأَلَّمُ لِحَالِهَا ، وَإِذَا بِهَا تَسْمَعُ وَقْعَ أَقْدَامٍ ، فَالْتَفَتَتْ فَرَأَتِ الْأَرْنَبَ يَسِيرُ بِبُطْءٍ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ بِانْتِبَاهٍ كَمَنْ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ فَقَدَهُ . ثُمَّ سَمِعَتْهُ يُحَادِثُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : « وَيْلِي مِنَ الْأَمِيرَةِ ! إِنَّهَا سَتَشْنُقُنِي وَلَا شَكَّ . وَاحَسْرَتَاهُ عَلَى فَرْوِي النَّاعِمِ وَشَوَارِبِي الْجَمِيلَةِ وَمَخَالِبِي الْحَادَّةِ !! أَيْنَ يَا تُرَى سَقَطَتْ مِنِّي ؟ » وَأَدْرَكَتْ أَلِيسُ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنِ الْمِرْوَحَةِ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْهُ وَالْتَقَطَتْهَا . فَأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَتْ تُسَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْثُرْ لَهَا عَلَى أَثَرٍ .

وأخذت تكبر حتى مس رأسها السقف .

وَلَاحَظَ الْأَرْنَبُ أَنَّ أَلِيسَ تُسَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ ، فَنَادَاهَا قَائِلًا : « يَا مَارِي ! مَاذَا تَصْنَعِينَ هُنَا ؟ اُجْرِي إِلَى الْمَنْزِلِ وَأَحْضِرِي لِي مِرْوَحَةً أُخْرَى وَقُفَّازًا . أَلَمْ تَسْمَعِي ؟ هَيَّا أَسْرِعِي ! » وَجَرَتْ أَلِيسُ خَائِفَةً مَذْعُورَةً ، وَقَدْ فَطِنَتْ إِلَى أَنَّهُ ظَنَّهَا خَادِمَهُ لِصِغَرِ جِسْمِهَا ، فَكَانَتْ تَقُولُ لِنَفْسِهَا وَهِيَ تَجْرِي : « أَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْأَرَانِبِ تَأْمُرُنِي وَتَنْهَرُنِي !! » وَاسْتَمَرَّتْ فِي جَرْيِهَا حَتَّى وَجَدَتْ بَابًا عَلَيْهِ لَوْحٌ نُحَاسِيٌّ مَحْفُورٌ عَلَيْهِ (سَلِيم أَرْنَبُ) فَدَخَلَتْهُ وَصَعِدَتْ فِي السُّلَّمِ ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ نَظِيفَةٍ ، فَدَخَلَتْهَا وَوَجَدَتْ فِيهَا مِنْضَدَةً صَغِيرَةً بِجَانِبِ النَّافِذَةِ ، عَلَيْهَا مِرْوَحَةٌ وَبِضْعَةُ قُفَّازَاتٍ مِنَ الْجِلْدِ الْأَبْيَضِ النَّاصِعِ فَأَخَذَتْ زَوْجًا مِنْهَا ، وَالْتَقَطَتِ الْمِرْوَحَةَ ، وَهَمَّتْ بِالْعَوْدَةِ ، وَلَكِنَّهَا رَأَتْ زُجَاجَةً صَغِيرَةً بِجِوَارِ الْمِرْآةِ ، فَتَنَاوَلَتْهَا وَتَأَمَّلَتْهَا عَلَّهَا تَجِدُ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا (اُشْرَبِينِي) كَالْعَادَةِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « حَسَنًا ! إِنِّي كُلَّمَا أَكَلْتُ أَوْ شَرِبْتُ شَيْئًا تَغَيَّرَ حَجْمُ جِسْمِي ، فَأَصْغُرُ مَرَّةً وَأَكْبَرُ أُخْرَى ، فَلْأُجَرِّبْ هٰذِهِ الزُّجَاجَةَ لَعَلِّي أَكْبَرُ فِيهَا بَنِي الْأَرْنَبُ » وَشَرِبَتْ أَلِيسُ مَا فِي الزُّجَاجَةِ ، وَإِذَا بِهَا تَكْبَرُ

فُجَاءَةً حَتَّى مَسَّ رَأْسُهَا السَّقْفَ ، فَانْحَنَتْ حَتَّى لَا تَنْكَسِرَ رَقَبَتُهَا ، وَهِيَ تَصْرُخُ : « كَفَى ! كَفَى ! ! يَا لَيْتَنِي مَا شَرِبْتُ كُلَّ هٰذَا » . وَلٰكِنَّهَا اسْتَمَرَّتْ تَكْبَرُ حَتَّى اضْطُرَّتْ إِلَى الرُّكُوعِ ، ثُمَّ إِلَى الرُّقَادِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَكْبَرُ وَتَكْبَرُ ، حَتَّى ضَاقَتْ بِهَا الْحُجْرَةُ ، فَأَخْرَجَتْ ذِرَاعَهَا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَرَفَعَتْ سَاقَهَا وَأَدْخَلَتْ قَدَمَهَا فِي الْمِدْخَنَةِ .

وَهُنَا كَانَ قَدْ تَمَّ مَفْعُولُ الشَّرَابِ ، فَوَقَفَ نُمُوُّهَا لِحُسْنِ الْحَظِّ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ مَحْشُورَةً فِي الْحُجْرَةِ تَسْتَحِيلُ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا سَتَبْقَى هٰكَذَا حَتَّى تَمُوتَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْيَأْسُ . ثُمَّ سَمِعَتْ صَوْتَ الْأَرْنَبِ يُنَادِيهَا : « يَا مَارِي ! أَيْنَ أَنْتِ ؟ لِمَاذَا لَمْ تُحْضِرِي الْمِرْوَحَةَ وَالْقُفَّازَ » . ثُمَّ سَمِعَتْ وَقْعَ أَقْدَامِهِ وَهُوَ يَصْعَدُ فِي السُّلَّمِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبَابِ ، وَأَخَذَ يَدْفَعُهُ ، مُحَاوِلًا فَتْحَهُ . فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، لِأَنَّ مِرْفَقَهَا كَانَ مُسْتَنِدًا إِلَى الْبَابِ مِنَ الدَّاخِلِ . وَحِينَئِذٍ سَمِعَتْهُ يَقُولُ : « أَتَمْنَعِينَنِي مِنَ الدُّخُولِ يَا مَارِي ؟ إِذَنْ سَأَدْخُلُ لَكِ مِنَ النَّافِذَةِ . وَسَتَرَيْنَ مَاذَا أَصْنَعُ بِكِ ! » وَاغْتَاظَتْ أَلِيسُ مِنْ تَهْدِيدِهِ ، فَانْتَظَرَتْهُ حَتَّى صَارَ تَحْتَ النَّافِذَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ يَدِهَا ، فَمَدَّتْهَا فُجَاءَةً ، وَطَوَّحَتْهَا فِي الْهَوَاءِ بِشِدَّةٍ ، تُرِيدُ إِمْسَاكَهُ ، فَإِذَا بِهَا تَسْمَعُ الْأَرْنَبَ يَصْرُخُ ، وَشَيْئًا يَتَكَسَّرُ كَالزُّجَاجِ فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « حَسَنًا ! أَظُنُّهُ قَدْ سَقَطَ فِي بَيْتِ الزُّجَاجِ الَّذِي فِي الْحَدِيقَةِ . » ثُمَّ سَمِعَتْهُ بَعْدَ ذٰلِكَ يُنَادِي : « بَاتْ ! يَا بَاتْ ! أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَسَمِعَتْ آخَرَ يَرُدُّ عَلَيْهِ قَائِلًا :

« هَأَنَذَا يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ »

الْأَرْنَبُ : « أَسْرِعْ إِلَيَّ ، وَأَخْبِرْنِي ، مَا هٰذَا الَّذِي تَرَاهُ فِي النَّافِذَةِ ؟ »

فمدت يدها وطوحتها فى الهواء بشدة

بَاتْ : « هٰذَا ذِرَاعٌ وَلَا شَكَّ يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ »

الْأَرْنَبُ : « ذِرَاعٌ يَا سَاذَجُ ! مَتَى كَانَتِ الذِّرَاعُ كَبِيرَةً هٰكَذَا ! إِنَّهُ يَمْلَأُ النَّافِذَةَ كُلَّهَا ! ! »

بَاتْ : « نَعَمْ يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ ، إِنَّهُ يَمْلَأُ النَّافِذَةَ . وَلٰكِنَّهُ ذِرَاعٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ »

الْأَرْنَبُ : « ذِرَاعٌ أَوْ غَيْرُ ذِرَاعٍ ، لَا أُرِيدُهُ فِي نَافِذَتِي . فَاذْهَبْ وَانْزَعْهُ »

بَاتْ : « وَلٰكِنِّي يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ لَا أَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ ! »

اَلْأَرْنَبُ : « اُذْهَبْ وَافْعَلْ مَا آمُرُكَ بِهِ يَا جَبَانُ ! »

وَعِنْدَ ذٰلِكَ شَعَرَتْ أَلِيسُ بِحَرَكَةٍ تَحْتَ يَدِهَا ، فَبَسَطَتْهَا وَهَزَّتْهَا بِشِدَّةٍ كَمَا فَعَلَتْ فِي اَلْمَرَّةِ السَّابِقَةِ ، فَسَمِعَتْ صَرْخَتَيْنِ — صَرْخَةَ اَلْأَرْنَبِ ، وَصَرْخَةَ زَمِيلِهِ — وَصَوْتَ زُجَاجٍ يَتَهَشَّمُ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ تَأْثِيرِ سُقُوطِهِمَا .

وَسَادَ السُّكُونُ بَعْدَ ذٰلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً ، إِلَى أَنْ سَمِعَتْ أَلِيسُ صَوْتَ مَرَاكِبَ (عَرَبَاتٍ) صَغِيرَةٍ ، تَسِيرُ نَحْوَ اَلْبَيْتِ ، وَأَصْوَاتًا كَثِيرَةً عَالِيَةً ، وَسَمِعَتِ اَلْبَعْضَ يَقُولُ : « أَيْنَ السُّلَّمُ ؟ أَحْضِرِ السُّلَّمَ اَلْآخَرَ يَا بِلْ ، وَاُرْبُطِ اَلِاثْنَيْنِ مَعًا . » وَسَمِعَتْ آخَرَ يَقُولُ : « اَلْآنَ اُصْعَدْ يَا بِلْ إِلَى اَلْمِدْخَنَةِ . » ثُمَّ سَمِعَتْ هٰذَا يَقُولُ : « لَا ! فَلْيَصْعَدْ غَيْرِي » . وَإِذَا بِالْأَرْنَبِ يَأْمُرُ بِلْ بِالصُّعُودِ فِي السُّلَّمِ . فَأَخَذَتْ أَلِيسُ تُحَادِثُ نَفْسَهَا وَتَقُولُ : « مِسْكِينٌ أَنْتَ يَا بِلْ ! إِنِّي أُشْفِقُ عَلَيْكَ ، وَلَوْ أَنِّي لَا أَعْرِفُكَ » . وَمَا أَنْ شَعَرَتْ بِأَنَّ شَيْئًا قَدْ وَصَلَ إِلَى قِمَّةِ اَلْمِدْخَنَةِ ، وَبَدَأَ يَنْسَلُّ إِلَى دَاخِلِهَا ، حَتَّى دَفَعَتْهُ بِقَدَمِهَا دَفْعَةً شَدِيدَةً قَذَفَتْهُ فِي اَلْفَضَاءِ يَصْرُخُ وَيُوَلْوِلُ وَحِينَئِذٍ سَمِعَتْ أَلِيسُ أَصْوَاتَ اَلْحَيَوَانَاتِ وَهِيَ تَجْرِي ، وَالْأَرْنَبُ يَقُولُ : « إِذَنْ فَلْنَحْرِقِ اَلْمَنْزِلَ بِمَا فِيهِ » . فَصَاحَتْ أَلِيسُ : « إِيَّاكُمْ وَحَرْقَ اَلْمَنْزِلِ ، فَإِنَّكُمْ لَوْ فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ لَحَضَرَتْ لَكُمْ قِطِّي دُنْيَا وَانْتَقَمَتْ لِي مِنْكُمْ » فَسَادَ الصَّمْتُ مَرَّةً أُخْرَى .

وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ ، سَمِعَتِ اَلْأَرْنَبَ يَقُولُ : « تَكْفِي (عَرَبَةٌ) وَاحِدَةٌ » وَتَسَاءَلَتْ أَلِيسُ : « أَيَّ شَيْءٍ يَا تُرَى سَيُحْضِرُونَهُ فِي (اَلْعَرَبَةِ) ؟ » . وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَنْتَظِرْ طَوِيلًا حَتَّى شَعَرَتْ بِحَصًى صَغِيرٍ يَتَسَاقَطُ عَلَى جِسْمِهَا وَوَجْهِهَا مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ ، فَصَاحَتْ : « كُفُّوا عَنْ هٰذَا ! ! »

وَبَيْنَمَا هِيَ تَنْظُرُ حَوْلَهَا ، تَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ لِلْخَلَاصِ وَجَدَتِ اَلْحَصَى يَتَحَوَّلُ ، وَاحِدَةً بَعْدَ اَلْأُخْرَى ، إِلَى كَعْكٍ صَغِيرٍ ، فَأَكَلَتْ وَاحِدَةً ، وَإِذَا بِهَا تَصْغُرُ وَتَصْغُرُ حَتَّى عَادَتْ صَغِيرَةً كَمَا كَانَتْ ، فَنَهَضَتْ فَرِحَةً ، وَجَرَتْ مُسْرِعَةً ، وَخَرَجَتْ مِنَ اَلْبَابِ . وَهُنَاكَ رَأَتِ اَلْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً حَوْلَ سَامٍّ أَبْرَصَ (بُرْصٍ) صَغِيرٍ ، تُعْطِيهِ دَوَاءً مِنْ زُجَاجَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَأَدْرَكَتْ أَنَّ بِلْ اَلْمِسْكِينَ اَلَّذِي رَفَسَتْهُ لَمْ يَكُنْ سِوَى سَامٍّ أَبْرَصَ (بُرْص) .

ولم يكن « بل » سوى (برص)

ثُمَّ جَرَتْ أَلِيسُ ، قَبْلَ أَنْ تَتَنَبَّهَ اَلْحَيَوَانَاتُ لَهَا ، مُتَّجِهَةً نَحْوَ اَلْغَابَةِ ،

فَقَابَلَهَا فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ جِرْوُ كَلْبٍ ، فَأُعْجِبَتْ بِشَكْلِهِ الْجَمِيلِ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ تُرِيدُ مُلَاعَبَتَهُ وَلٰكِنَّهَا خَشِيَتْ أَنْ يَطَأَهَا بِقَدَمِهِ فَيَقْتُلَهَا ، إِذْ خُيِّلَ لَهَا لِصِغَرِهَا أَنَّهُ كَبِيرٌ جِدًّا . ثُمَّ اسْتَأْنَفَتِ الْجَرْيَ ، هَارِبَةً حَزِينَةً ، وَاخْتَفَتْ فِي أَحْضَانِ الْغَابَةِ .

مطـــاوع

بقلم المرحومة السيدة وردة الصدر

كَانَ لِأَرْمِلَةٍ فِي إِحْدَى قُرَى الرِّيفِ طِفْلٌ هَادِئٌ وَدِيعٌ ، شَبَّ عَلَى طَاعَتِهَا . فَبَيْنَمَا كَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَطْفَالِ الْجِيرَانِ يَزْعَقُ وَيُزْمْجِرُ وَيَغْضَبُ كَانَ هُوَ لَا يُرَى إِلَّا بَاسِمًا يَأْكُلُ مَا يُقَدَّمُ لَهُ ، وَيَنَامُ عِنْدَمَا يُؤْمَرُ وَيَسْتَحِمُّ مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ . وَكَبِرَ وَتَرَعْرَعَ حَتَّى بَلَغَ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . وَصَارَ يُعْرَفُ بَيْنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِاسْمِ «مُطَاوِعٍ» وَكَانَتْ أُمُّهُ رَفِيقَةَ الْحَالِ تَكْسِبُ عَيْشَهَا بِمَا كَانَتْ تَغْزِلُهُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَلَمْ يَكُنْ كَسْبُهَا يَكْفِيهَا وَيَكْفِي مُطَاوِعًا لَمَّا كَبِرَ ، وَزَادَتْ شَهْوَتُهُ لِلطَّعَامِ . فَقَالَتْ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ : « لَقَدْ صَارَ عُمْرُكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا ، وَيَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ لِكَسْبِ قُوتِكَ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُبَكِّرَ غَدًا بِالذَّهَابِ إِلَى الْمَزَارِعِ الَّذِي بِجَانِبِ التُّرْعَةِ ، وَتَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ تَشْتَغِلَ مَعَهُ . فَأَجَابَ مُطَاوِعٌ : « سَأَفْعَلُ يَا أُمِّي . » وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى الْمَزَارِعِ ، فَأَقَامَهُ فِي الْعَمَلِ . وَفِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ قَالَ لَهُ : « إِنَّنِي أَسِفٌ يَا بُنَيَّ ، إِذْ لَيْسَ لَكَ دِرَايَةٌ بِالْفِلَاحَةِ ، فَلَا دَاعِيَ لِحُضُورِكَ بَاكِرًا . وَلٰكِنْ بِمَا أَنَّكَ كُنْتَ مُطِيعًا طُولَ الْيَوْمِ فَخُذْ هٰذَا الْقِرْشَ أُجْرَةً لِتَعَبِكَ » . فَشَكَرَهُ مُطَاوِعٌ ، وَتَنَاوَلَ الْقِرْشَ ، وَكَانَ هٰذَا أَوَّلَ أُجْرَةٍ تَنَاوَلَهَا فِي حَيَاتِهِ ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَفْعَلُ بِهِ ، وَجَعَلَ يَلْعَبُ بِهِ وَيُدَحْرِجُهُ عَلَى شَاطِئِ التُّرْعَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي الْمَاءِ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ أَخْبَرَ أُمَّهُ بِمَا حَدَثَ . فَقَالَتْ لَهُ : « كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ الْقِرْشَ فِي (جَيْبِكَ) . اذْهَبْ بَاكِرًا وَسَاعِدِ الرَّاعِيَ وَلَا تَنْسَ أَنْ تَضَعَ أَجْرَكَ فِي (جَيْبِكَ) . » فَقَالَ مُطَاوِعٌ : « سَأَفْعَلُ يَا أُمِّي . » وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ وَاشْتَغَلَ مَعَ الرَّاعِي ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَاهِرًا فِي حَلْبِ الْبَقَرِ . فَفَصَلَهُ الرَّاعِي مِنْ خِدْمَتِهِ فِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ ، وَأَعْطَاهُ كُوزًا مِنَ اللَّبَنِ أَجْرًا لِعَمَلِهِ . فَشَكَرَهُ ، وَأَخَذَ الْكُوزَ ، وَوَضَعَهُ فِي (جَيْبِهِ) كَمَا أَوْصَتْهُ أُمُّهُ ، وَجَرَى إِلَى